الوسطيَّة من منظور الكتاب والسنة

أ.د.عارف علي عارف القره داغي أردوان مصطفى إسماعيل

بحث مقدَّم إلى مؤتمر قسم دراسات القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، المؤتمر العالمي الثاني للقرآن الكريم والسنة الشريفة" :الوحي والعلوم في القرن الواحد والعشرين "

.

المحور الخامس :منظور القرآن والسنة في الوسطية والاعتدال

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة

الحمد لله الذي أظهر مبادىء الوسطية في كتابه، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي دعا إلى انتهاج الوسطية في سنته، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسانٍ لهم إلى يوم التناد.

أما بعد!

فإنَّ الدعوة إلى انتهاج الوسطية مبثوثةٌ في آياتٍ قرآنية عديدة، وأحاديث نبوية كثيرة؛ ذلك أن هذا المنهج يقود المسلمين إلى قيادة العالم، ونشر الإسلام في أصقاع الأرض، وإقبال الناس على الإسلام واعتناقه عن قناعةٍ، وحبٍّ.

وهاته الوسطية الإسلامية تدعو إلى التعايش السلمي بين أفراد المجتمع، واحترام كرامة الإنسان وحقوقه، والتفاعل الحضاري، والتدافع الثقافي بين شعوب العالم .كما أنها تستأصل شأفة الإرهاب، والتطرف، والغلوِّ، والتعصب، وصدام الحضارات وغير ذلك مما يدمر المجتمعات، ويقوِّض الحضارات.

إشكاليَّة البحث

تبرز مشكلةُ البحث في استجلاء حجية الوسطية في القرآن الكريم، والسنة النبوية، واستنطاق الوحيين لإبراز مظاهر الوسطية، وتبيان مفهومها، واستعراض أبرز حقولها .

أهداف البحث

يرمي البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- استجلاء حجية الوسطية من الكتاب والسنة.
- توضيح مفهوم الوسطية في ضوء الكتاب والسنة.
- استعراض أبرز جوانب الوسطية من منظور الكتاب والسنة.

منهجيَّة البحث

ينتهج البحث المنهجين الآتيين:

- المنهج الاستقرائي :ويتوسَّل البحث بهذا المنهج إلى تتبُّع النصوص القرآنيَّة، والأحاديث النبوية؛ لتأصيل منهج الوسطية الإسلامية.

- المنهج التحليلي الوصفي :ويتمُّ استخدامه في تحليل النصوص، وتوصيف حقول الوسطية الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة.

خطة البحث

مقدمة

المبحث الأول :تأصيل الوسطية من منظور الكتاب والسنة.

المطلب الأول :مفهوم الوسطية في الكتاب والسنة.

المطلب الثاني :حجية الوسطية في الكتاب والسنة.

المبحث الثاني :حقول الوسطية في الكتاب والسنة.

المطلب الأول :الوسطيَّة في حقل العبادات

المطلب الثاني :الوسطية في حقل المعاملات المالية

المطلب الثالث :الوسطية في التعامل مع الآخرين

خاتمة.

واللهَ نسألُ أن يتقبله بقبول حسن، وينبته نباتًا حسنًا، وأن ينفع به، إنه نعم المولى، ونعم النصير.

المبحث الأول :تأصيل الوسطية من منظور الكتاب والسنة.

المطلب الأول :مفهوم الوسطية لغةً ومصطلحًا.

يرنو هذا المبحث إلى استجلاء مصطلح الوسطية من ناحيتَي اللغة والاصطلاح، وذلك على الوجه الآتي.

المطلب الأول :التعريف بالوسطية لغةً ومصطلحًا

أولا :الوسطية لغةً

اشتقت لفظة) الوسطية (من الفعل الثلاثي المجرد وَسَطَ يوسط وَسَطًا، ومن أشهر معانيها اللغوية ما يأتي:

- النَّصَف، والعدل، يقال :أعدل الشيء، أي :أوسطه، ووسطه، كما يقال :وسَط القوم، أي : أوسطهم حسبًا، وأرفعهم منزلاً.
- اسم لما بين طرفي الشيء، والخيار، والأفضل.
- الاعتدال، فالأوسط هو الاعتدال في كل شيء.

وملخَّص ما سبق، أن الوسطية تعني لغةً العدل، والخيرية، والأفضلية، والتوسط بين الطرفين.

ثانيًا :الوسطية مصطلحًا

عرَّف المتخصصون في حقل العلوم الإسلامية الوسطية بتعريفاتٍ عديدةٍ، نزجي أهمها في النقاط الآتية:

- ذهب القرضاوي إلى أن القصد من الوسطية هو) : التوازن (أو) الاعتدال(، أي :التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين؛ بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، ويطرد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله ويحيف عليه .مثال الأطراف المتقابلة أو المتضادة :الربانية والإنسانية، الروحية والمادية، الفردية والجماعية، والواقعية والمثالية، والثبات والتغير، وما شابهها، ومعنى التَّوازن بينهما :أن يفسح لكل طرف منها مجاله، ويعطي حقه بالقسط أو بالقسطاس المستقيم، بلا وَكسٍ ولا شطط، ولا غلوٍّ ولا تقصير، ولا طغيان ولا إخسار.
- عرَّف الوسطية أحد الباحثين بأنها ":العدل والاستقامة والخيرية والاعتدال والقصد والفضل والجودة."

وهذا الحدُّ والتعريف للوسطية لا يخرج عن إطارها اللغوي، فهذا تعريفٌ لغوي أكثر من أن يكون تعريفًا منطقيًا اصطلاحيًا.

- في حين عرَّفها وهبة الزحيلي بأنها " :الاعتدال في :الاعتقاد، والموقف، والسلوك، والنظام، والمعاملة، والأخلاق."

وفي ضوء هاته الحدود والتعريفات، فإن **الباحث** يرى أن الوسطية هي الاعتدال، والتوازن، والاعتراف بالطرف المقابل، وإعطاء كل طرف حقه، دون حيفٍ ولا طغيانٍ، وذلك في مختلف شؤون الحياة؛ ليقوم الناس بالقسط، والوسطية ابتعادٌ عن الإفراط والتفريط، والغلوِّ، والتطرف، والتعصب، والتعنيف .

المطلب الثاني :حجية الوسطية في الكتاب والسنة.

أولاً :حجية الوسطيَّة في القرآن الكريم

لقد شيَّد القرآن الكريم مبادىء الوسطية تشييدًا محكمًا، ليصدح بأن الوسطية نبعٌ قرآني، ومقصد منيفٌ من مقاصده التي يسعى إلى تحقيقها، وذلك بالدعوة إلى الوسطية، وتثبيت مبادئها في شتى مجالات الحياة الدينية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية وغيرها .وقد وردت مشتقات كلمة) الوسطية (في كتاب الرحمن في خمس آياتٍ، تارةً بلفظ) وسطًا(، وكرةً بلفظ) الوسطى(، وحينًا بكلمة) أوسط.(

ومن حجج الوسطية في القرآن الكريم ما يأتي :

- قوله تعالى} :**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**]{ سورة البقرة .[143 :

محل الدليل :تدلُّ الآية على أنَّ الله تعالى يمتنُّ على أمة الإسلام بجعلها أمةً وسطًا؛ لتضحى شاهدةً على الناس، ويعدُّ الامتنانُ برهانَ الأفضلية والخيرية .

ومما يعضِّد هذا أنَّ الرسول فسر الوسط في الآية المذكورة آنفًا بالعدل كما ثبت في صحيح البخاري ":**والوسط العدل**."

وقال سيد قطب في تفسيره لهذه الآية" :وإنها للأمَّة الوسط بكل معاني الوسط، سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه الماديّ الحسيّ."

- ومن هذا الباب، قوله سبحانه وتعالى} :**اهدنا الصِّراط المستقيم**] {سورة الفاتحة .[6:

وجه الحجيَّة :أن الله تعالى يوجِّه المسلم ويدعوه إلى أن يسأل الله تعالى تثبيته على الإسلام الذي هو الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج ولا انحراف فيه ، ويعدُّ هذا لبَّ الوسطية الذي لا إفراط فيه ولا تفريط.

- قوله تعالى}:**وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**]{سورة البقرة .[201:

محلُّ الشاهد :هاته الآية توجيهٌ من الله تعالى لعباده بأن يدعوه هذا الدعاء الذي يجمع خيري الدنيا والآخرة، وذلك بتوفيقهم لانتهاج الوسطية والاعتدال في جميع مناحي الحياة، بحيث تمسي الوسطية سلوكًا للمسلم في حياته اليومية، وتيسير شؤونه، ولذا كان هذا أكثر دعاء الرسول.

- قوله تعالى}:**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**] {سورة القصص.[77:

موطن البرهان :في هذه الآية يأمر الله سبحانه عباده بالوسطية والاعتدال والتوازن بين الدنيا والآخرة، بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر.

ثانيًا :حجية الوسطية في السنة النبوية

لقد رسختِ السنة النبوية مبادىء الوسطية التي أصَّلها القرآن الكريم قولاً وفعلاً، وكان النبي وَسَطيًا يمشي على وجه الأرض، وسطًا في جميع مجالات الحياة، في العبادات، والمعاملات المالية، والعلاقات الاجتماعية، والسلوكيات، وغير ذلك.

وقد حفلت حياة الرسول بالوسطية والاعتدال في جميع الجوانب، وانعكس ذلك في تصرفاته اليومية، وسلوكه القويم، وحرصه الشديد على توجيه أصحابه إلى التحلي بالوسطية والاتزان بحيث إذا آنس غلوًا في جانبٍ، هرع إلى تقويمه بالحكمة، وتعديله بالصواب، ومنه تعلم الصحابة التوازن بين الدنيا والآخرة.

وثمَّة كمٌّ كثير من الأحاديث الدالة على الوسطية، نزجي أبرزها في النقاط الآتية:

- قوله ": **إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ .وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إلا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا**."

وجه الدليل :بيَّن الرسول يسر الدين الإسلامي، مؤكدًا ذلك بحرف) إنَّ (التي تأتي للتوكيد في اللغة العربية، ثم أتى بأداة) لن (التي هي لنفي المستقبل– في الغالب –، فرفض أن يكون للمتشدد في الدين والغالي فيه أي نصيبٍ من الفوز والديمومة، وأن المغالاة والتشدد في الدين، أو التكلف فيه يفضي بصاحبه إلى الهلاك والدمار، فيمسي مغلوبًا عليه، بعد أن كان غالبًا .

يقول ابن حجر في معنى الحديث" :لا يتعمق أحد في الأعمال الدينيه ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب .قال ابن المنير :في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع."

- قال رسولُ الله" : **هلك المتنطِّعون، قالها ثلاثًا**."

محلُّ البرهان :أبان النبي أن الهلاك من نصيب أولئك المتنطعين الذين يغالون في الأقوال والأفعال، ويتجاوزون الحدود المرسومة لهم شرعًا، فذمَّ مسلك المغالاة، ومنهج التطرف، ويدل الحديث – عن طريق مفهوم المخالفة الذي هو حجةٌ عند أغلب علماء الأصول –على أن انتهاج الوسطية هو المطلوب؛ ذلك أنَّ النجاة، والسعادة، والاستقرار كامنٌ في الوسطية الإسلامية .

- جاء نفرٌ إلى النبي ، فذكروا أنهم يصومون فلا يفطرون، ويقومون فلا ينامون، ولا يتزوجوا النساء، فقال النبي منكرًا عليهم غلوَّهم، وموبخًا عليهم تطرفهم ": **أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا والله إِنِي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ له، لَكِنِّي أَصُومُ، وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي، وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**. "

مرتع البرهان :أنكر الرسول على هؤلاء النفر الذين تعاملوا مع أنفسهم معاملةً تناقض الفطرة الإنسانية التي فطر الله تعالى الإنسان عليها، وأن الإنسان مكوَّن من روحٍ وجسدٍ، فعليه أن يتوازن بينهما ويتوسط، فلا يكون الاعتناء بأحدهما على تهميش الآخر، وأنَّ منهج الوسطية هو الذي يحقق الاتزان بين الروح والجسد .

- كان من أدعية النبي المأثورة قوله" :**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى**."

موطن الحجةُ :أنَّ النبي سأل الله تعالى أن يرزقه التوسط بين الفقر المنسي، والغنى المطغي، كما طلب منه تعالى إعطاءه العدل الذي به يسعد الإنسانية؛ إرشادًا لأمته لكي يتأسوا به في الوسطية.

- من أدعية الرسول ": **اللهم أَصْلِحْ لِي دِينِي الذي هو عِصْمَةُ أَمْرِي .وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ التي فيها مَعَاشِي .وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي التي فيها معادي .واجعل الْحَيَاةَ زِيَادَةً لي في كل خَيْرٍ .واجعل الْمَوْتَ رَاحَةً لي من كل شَرٍّ**."

وجه الدليل :أنَّ الرسول كان يدعو بهذا الدعاء؛ تعليمًا لأصحابه وأمته في التأسي به في هذا الدعاء الذي ما أقلَّ لفظه، وما أكثر معناه، ونستشفُّ منه الدعوة النبوية الصريحة إلى الوسطية في أمور الحياة كلها، والتوازن بين الدنيا دار المعاش، والآخرة دار المعاد.

المبحث الثاني :حقول الوسطيَّة في الكتاب والسنة

يتحدَّث هذا المبحث عن أبرز مجالات الوسطية وحقولها في ضوء الكتاب والسنة، وذلك في المطالب الآتية.

المطلب الأول :الوسطيَّة في حقل العبادات

من المقرر في الفقه الإسلامي أنَّ الأصل والقاعدة المستمرة في دائرة العبادات التوقيف، ومنع الاجتهاد فيه؛ ابتناءً على أن الكتاب والسنة حسما أمر العبادات، وبيَّنا تفاصيلها.

ورغم ذلك، فلقد استوعبت الوسطية باب العبادات في الإسلام، فأينما تولَّيت فثمَّ الوسطية، تجد ذلك جليًا في أحكام الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج وغير ذلك؛ ذلك أنه لا تكليف بما لا يطاق كما هو القول المعتمد عند الأصوليين.

ومن هنا، كان الإسلام وسطًا في باب العبادات، ولم يكن كالمسيحية الداعية إلى الرَّهبنة والانقطاع عن الحياة، ولا البوذية الوضعية التي اكترثت بالأخلاق وحده، ودعت إلى التقشف والتقوقع على الذات وإيذاء الجسد.

ومن أمثلة الوسطية في باب العبادات، مراعاة حال المأمومين في الصلاة، فمنهم الشيخ الكبير الذي لا يقدر على القيام طويلاً، ومنهم المريض، ومنهم ذو الحاجة، والصغير، ولذلك غضب الرسول على من يطيل بالناس الصلاة، ونعته بالمنفِّر والفتَّان، وذلك مع عظم مكانة الصلاة في الإسلام، ناهيك عن عظمة صلاة الجماعة التي تضافرت النصوص النبوية على أهميتها، وأنها تفوق صلاة المنفرد بخمسٍ، أو سبعٍ وعشرين درجة.

وتجد النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية تترى في ترسيخ الوسطية في دائرة العبادات، يقول سبحانه } : **يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ]** {سورة البقرة .[185 :

وقوله سبحانه}:**لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**]{سورة البقرة .[286:

وقوله تعالى}:**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**] {التغابن.[16 :

وعند إمعان النظر في هاته الآيات الكريمات نلمس أنها ترسخ مبدأ التيسير في العبادات، وأن المسلم يمتثل أوامر الله تعالى بقدر استطاعته، بعيدًا عن المغالاة والتشدد، أو الإهمال والتقصير .

كما تزخر مصنفات السنة النبوية بالأحاديث التي تثبت مبدأ الوسطية في باب العبادات، منها :

- أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم دخل على عائشة وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ قال ":من هذه ."قالت :فُلَانَةُ تَذْكُرُ من صَلَاتِهَا قال ":**مَهْ عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ .فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ الله حتى تَمَلُّوا** "وكان أَحَبَّ الدِّينِ إليه ما داوم عليه صَاحِبُهُ.

وهذا الحديث النبوي برهانٌ على أنَّ المسلم العاقل البالغ يؤدي العبادة قدر استطاعته، ومقدار طاقته، ضمن الضوابط والشروط المقررة في الفقه الإسلامي، وهذا من ماصدقات الوسطية الإسلامية المبتناة على التيسير، والنائية من التعسير.

- أنَّ النبي قال لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ":**ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار** ."قلت ":إني أفعل ذلك ."قال": **فإنك إذا فعلت ذلك هجمت عينك ونفِهت نفسك .وإن لنفسك حقا، ولأهلك حقا .فصم وأفطر، وقم ونم**."

ويجلِّي هذا النص النبوي مدى العناية التي أولاه الإسلام للمحافظة على كيان الإنسان، وحماية صحته، وتوزيع الحقوق والواجبات، وأن العبادات الذاتية كقيام الليل وصيام النهار لا ينبغي أن تفضي إلى إهمال العبادات المتعدِّية، كحق الزوجة والأولاد، ولا يستساغ – أيضًا –أن تفضي إلى إضعاف الجسد؛ ذلك أن الجسد الضعيف لا يتقوَّى على عبادة الله تعالى .

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :بينما النبي يخطب إذا هو برجل قائم، فسأل عنه، فقالوا :أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم .فقال النبي ": **مره فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه**."

وهاته الأحاديث النبوية وغيرها تدلُّ على أن الوسطية منهاج نبوي في باب العبادات، ولو أخذنا نستقصي نماذج الوسطية في نطاق العبادات وأمثلتها لطال بنا المقال.

المطلب الثاني :الوسطية في حقل المعاملات المالية

إن باب المعاملات المالية مبتناةٌ على الوسطية والاعتدال، ولا أدلَّ على ذلك من أن الأصل والقاعدة المستمرة في هذا الباب أن المعاملات المالية الأصل فيها الجواز والإباحة، وأن الحرمة استثناءٌ تأتي من عوارض

أخرى تعتري العقود، فتجعلها محظورةً كالربا، والقمار، والغرر، وأكل أموال الناس بالباطل وغير ذلك .يقول ابن حجر الهيتمي في فتاويه" :الأصل في العقود الجارية بين المسلمين الصحة"، و "الأصل في العقود الصحة ".

وكان لهاته القاعدة المستمرة دورٌ بالغٌ في ترسيخ أصول الاقتصاد الإسلامي في الوقت الحاضر، وإثراء موضوعاته، وتلبية متطلبات المسلمين في هذا العصر، ومواكبة مستجدات الحياة المعاصرة، الأمر الذي أفضى إلى أن يثبت الاقتصاد الإسلامي وجوده، ويحافظ عليه.

ومن مظاهر الوسطية في النظام الاقتصادي الإسلامي أنه لم يكن كالشيوعية التي لم تعترف بالملكية الفردية، ولا الرأسمالية التي أنكرت الملكية الجماعية، فأمسى الإسلام وسطًا بين ذينك النظامين باعترافه بالملكيتين بقيودٍ .فالاقتصاد الإسلامي يقرُّ الملكية الفردية؛ لموافقتها الفطرة الإنسانية في حبِّ المال، وهذا الإقرار ليس مطلقًا، بل مقيد بضوابط تحول دون الاعتداء على مصلحة المجتمع، كما يقر الملكية الجماعية ويحترمها بحيث لا تتعدى على مصلحة الفرد.

ومن مظاهر الوسطية والاعتدال في النظام الاقتصادي الإسلامي تحريم التبذير، وتحريم الإسراف، وإرشاد المسلمين إلى التوسط والاعتدال في الإنفاق، والاستهلاك .فقال تعالى} :**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا**] {سورة الإسراء26 :، .[27 وقوله سبحانه}:**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**] {سورة الفرقان .[67

ومن نماذج الوسطية التي تحدَّث عنها القرآن الكريم أن جمع المال مشروعٌ بالسبل المشروعة؛ ذلك أن حب المال أمر جبلي طبعي، بيد أن الانحراف يأتي في الغلو في حبه وتقديسه، والإفراط أو التفريط فيه.
فالمسألة ينبغي أن تبقى في دائرة الوسطية، يقول تعالى} :**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**] {سورة الكهف .[46:

المطلب الثالث :الوسطية في التعامل مع الآخرين

لقد زخر القرآن الكريم والسنة النبوية بترسيخ مظاهر الوسطية والاعتدال في التعامل مع الآخرين، يقول الله تعالى } :**وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنا**] { البقرة.[83 :ويقول ": **وخالق الناس بخلق حسن**"، وهذا يرسم لنا علاقة المسلم بالمسلم وبغير المسلم؛ ذلك أن لفظة) الناس (المعرَّف بالألف واللام من ألفاظ العموم كما هو مقرر في أصول الفقه، وتأسيسًا على ذلك، فإنَّ المطلوب من المسلم تجنُّب إيذاء الآخرين، قولاً، أو فعلاً، أو إيماءً.

ومن جمال وسطية الإسلام واعتداله العفو والتسامح، يقول الله تعالى} :**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**] .{آل عمران .[159:

ومن حسن الخلق تجاه الآخرين :كظم الغيظ، ويكون عند الغضب من سوء معاملة الآخرين، فيقابل الإساءة بالإحسان، قال الله سبحانه} :**وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ**] { الشورى[37:، قال ابن كثير في تفسير الآية " :سجيتهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس ليس سجيتهم الانتقام من الناس . "

ومن نماذج العفو الذي خلَّده التاريخ الإسلامي ويعدُّ قمة التسامح الذي عرفه العالم ما قام به الرسول حينما فتح مكة سنة ثمانٍ للهجرة، فأصدر عفوًا لأولئك الذين أخرجوه وطردوا أصحابه، وقال قوله الشهير " :اذهبوا فأنتم الطلقاء."

ومن ناحيةٍ أخرى نلمس أن القرآن الكريم قد أسس أصول التعامل مع الآخرين في آيتين عظيمتين، هما قوله تعالى} :**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ، إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**] {الممتحنة 8:، [9

وهاته الآية شاملة لجميع الملل والأديان المخالفين للإسلام، ماداموا مسالمين؛ إذ لا تخصيص.

ويفسر السعدي الآية بقوله ":لا ينهاكم الله عن البر والصلة، والمكافأة بالمعروف، والقسط للمشركين، من أقاربكم وغيرهم، حيث كانوا بحال لم ينتصبوا لقتالكم في الدين والإخراج من دياركم، فليس عليكم جناح أن تصلوهم، فإن صلتهم في هذه الحالة، لا محذور فيها ولا مفسدة ."

خاتمة

توصَّل البحث بعون الله تعالى إلى النتائج الآتية:

- أن مفهوم الوسطية يتضمَّن الاعتدال، والتوازن، والعدل، والأفضلية، والاعتراف بالطرف المقابل، كما يحتضن إعطاء كل طرف حقه، دون ظلم ولا طغيانٍ، وذلك في شتى مجالات الحياة؛ لينتهض الناس بالقسط، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو، ولا تعصب، ولاتعنيف .
- لقد قعَّد القرآن الكريم مبادىء الوسطية، وحرَّض المسلمين على انتهاج الوسطية، فترى منهج الوسطية مبثوثة في جميع القرآن الكريم، وأكدت ذلك السنة النبوية، قولاً وفعلاً .وأنَّ حجية الوسطية مستمدةٌ من القرآن الكريم، ومستقاةٌ من الحديث النبوي.
- غطَّت الوسطية مجالاتٍ عديدة في الحياة، من أبرزها حقل العبادات، وباب المعاملات المالية، وفقه التعامل مع الآخرين.
- أنَّ منهج الوسطية هو الذي قاد المسلمين الأوائل إلى قيادة العالم، وفتح القلوب قبل فتح البلدان، ونشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، ودخول الناس في الدين الإسلامي أرسالاً وفرادى، وأن هذا المنهج وحده هو القادر على جمع كلمة المسلمين، ولِمّ شتاتهم في هذا العصر المكتظِّ بالأزمات الخانقة، والمشكلات العويصة في العالم الإسلامي.
- يوصي البحث أصحاب القرار في العالم الإسلامي، والجامعات، والكليات بالاعتناء بالفكر الوسطي، والدعوة إليه، ونشره، كون الوسطية نابعةً من الكتاب والسنة، وهو المنهج المنقذ للعالم الإسلامي من الأزمات التي يعاني منها.

قائمة المصادر والمراجع

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق :عبد السلام محمد هارون) بيروت :دار الجيل، ط2،1420 هـ1999/م.(

أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة – بيروت، تحقيق :محب الدين الخطيب.

أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس، **الفتاوى الفقهية الكبرى**، المكتبة الإسلامية.

إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، **تفسير القرآن العظيم**، بيروت :دار الفكر،1401 هـ.

سيد قطب، **في ظلال القرآن**،) القاهرة :دار الشروق.(

عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق :عبد الرحمن بن معلا اللويحق مؤسسة الرسالة، ط1،1420 هـ 2000/ م.

محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، **الجامع الصحيح المختصر**، تحقيق :د .مصطفى ديب البغا،)بيروت:دار ابن كثير , اليمامة، ط3،1407 هـ1987 / م .

محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تحقيق :شعيب الأرنؤوط) بيروت :مؤسسة الرسالة، ط2،1414 هـ1993 /م.(

محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق :مصطفى عبد القادر عطا، بيروت :دار الكتب العلمية، ط1،1411 هـ1990 / م .

محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، **لسان العرب**،) بيروت :دار صادر، ط.(1

مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق :محمد فؤاد عبد الباقي،) بيروت : دار إحياء التراث العربي)

ناصر بن عبدالكريم العقل، **مفهوم الوسطية والاعتدال**، بحوث ندوة أثر القرآن في تحقيق الوسطية ودفع الغلو.

وهبة الزحيلي، **الوسطية مطلبًا شرعيا وحضاريا**،(الكويت :المركز العالمي للوسطية، ط2، 1432هـ2011/م.)

يوسف القرضاوي، **كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها**،)الكويت:المركز العالمي للوسطية، ط2، 1432هـ2011/م)